مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد 27، العدد (1)، ص ص 139 - 165، الرياض (2015م/ 1436هـ)

علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم، دراسة نقدية

عبدالسلام بن صالح الجارالله*

جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في 04/ 12/ 1435هـ؛ وقبل للنشر في 10/ 01/ 1436هـ)

(البحث مدعوم من مركز البحوث بكلية التربية بجامعة الملك سعود)

المستخلص: شهد العصر الحديث نشاطاً ملحوظاً في الدراسات المتعلقة بالإعجاز العلمي في الكتاب والسنة، واعتنى الباحثون في هذا المجال بتفسير كثير من الظواهر والقضايا التي ذكرها القرآن الكريم، والاستدلال على وجهها الإعجازي بالعلم التجريبي ومكتشفاته الحديثة، ومن تلك القضايا: معجزات الأنبياء عليهم السلام التي ذكرها القرآن، ويهدف البحث إلى بيان أوجه العلاقة بين العلم التجريبي بمكتشفاته الحديثة ومعجزات الأنبياء من خلال استقراء كلام أصحاب العلم التجريبي عن معجزات الأنبياء المذكورة في القرآن الكريم، ودراستها، ونقدها من خلال أوجه ثلاثة: 1 - تقرير المعجزات والاستدلال على وقوعها بالعلم التجريبي. 2 - ردها وإنكارها. 3 - تأويلها، وجعلها أموراً عادية، وليست خارقة للعادات، وقد عزز الباحث ذلك بالأمثلة، ومهد للبحث بتعريف العلم التجريبي والمعجزات، وتطرق لأهمية المعجزات، وأثرها في الإيمان بالرسل عليهم السلام. والبحث يبرز سلبيات تقرير معجزات الأنبياء عن طريق الاكتشافات التجريبية الحديثة، ويوصي بضرورة ضبط التفسير العلمي، وبخاصة فيما يتعلق بالعقائد والغيبيات، ويوصي - أيضاً - بالإفادة من العلوم الحديثة فيما لا يتعارض مع أصول الشريعة، وقواعدها.

الكلمات المفتاحية: التفسير العلمي، الإعجاز العلمي، العلم التجريبي، المعجزات.

A Critical Study of the Relationship between Experimental Sciences and Prophets' Miracles in the Qur'an

Abdulsalam Saleh Al-JarAllah

King Saud University

(Received 28/09/2014; accepted for publication 03/11/2014.)

Abstract: Recent times have witnessed a surge in studies on scientific miracles in the Qur'an and the Sunnah. Interested researchers have been engaged in explaining several phenomena and issues mentioned in the Qur'an from the perspective of experimental sciences. Among the issues are the miracles of prophets. The research aims to investigate the relationship between experimental sciences and the miracles in terms of: 1- identifying the miracles and their related scientific evidences; 2- refutation; and 3- interpreting them as non-miraculous. The research involves specific cases and gives definitions of experimental sciences and miracles as well as the significance of miracles for faith purposes. The research reveals the drawbacks of attempting to link prophets' miracles to modern scientific discoveries. It recommends that attempts to explain such miracles along experimental science lines be thoroughly monitored, especially with respect to belief in the unseen. Employing modern sciences in explaining the miracles should not be inconsistent with the aims and rules of Shari'ah.

Keywords: scientific explanation; scientific miracles; experimental sciences; miracles; Allah's prophets.

(*) أستاذ مشارك بقسم الدراسات القرآنية،
كلية التربية، جامعة الملك سعود
الرياض، المملكة العربية السعودية، ص.ب (552)، الرمز (11342)

(*) Associate Professor, Department of Quranic Studies,
College of Education, King Saud University
Riyadh, Saudi Arabia, p.o box: 552, Postal Code:11342

البريد الإلكتروني: e-mail: Jar1427@gmail.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن الله – تعالى – أيد رسوله محمداً ﷺ بالآيات الدالة على صدق نبوته، ومن أعظم الآيات التي أيده بها معجزة إنزال القرآن الكريم، ومن خصائص هذه المعجزة بقاؤها إلى قيام الساعة، وقد أشار النبي ﷺ إلى بقائها بقوله: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[1].

وقد حوى الكتاب العزيز من دلائل الإعجاز وجوهاً عديدة كانت محط عناية العلماء واهتمامهم قديماً وحديثاً. ومما برز الحديث عنه في العصر الحديث من وجوه إعجاز القرآن الكريم ما يتصل بالإعجاز العلمي، ونظراً للتقدم التقني الكبير في هذا العصر، فقد حظي هذا اللون من الإعجاز باهتمام الباحثين؛ لما رأوا من أثره في مخاطبة غير المسلمين، ودعوتهم إلى الدخول في الإسلام.

وقد نشط المحبون لهذا اللون من التفسير في تفسير كثير من الظواهر والقضايا التي ذكرها القرآن الكريم، رغبة في إبراز صدق القرآن، وأنه منزل من عند الله – تعالى –، فشملت دراساتهم قضايا عديدة: فلكية، وكونية، وطبية، واجتماعية، وتربوية..... ومن تلك القضايا ما يتعلق بمعجزات الأنبياء عليهم السلام، فقد أفاض القرآن الكريم في ذكر معجزات الأنبياء، وبيان مواقف أممهم منها، وما هي عاقبتهم؟، ولم تكن تلك المعجزات بمنأى عن حديث مؤيدي التفسير العلمي: تارة بتقريرها، والاستدلال عليها بالمكتشفات الحديثة، وتارة أخرى بردها وإنكارها، وثالثة بتأويلها وتفسيرها بما يتوافق مع المكتشفات الحديثة.

وقد رغبت في دراسة علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء عليهم السلام، وموقف أصحاب التفسير العلمي منها؛ لما يأتي:

1 – أهمية الموضوع لتعلقه بعقيدة المسلم تجاه معجزات الأنبياء عليهم السلام من جهة، وفهم القرآن الكريم وتفسيره من جهة أخرى.

2 – الإسهام – ولو بجزء يسير – في ضبط تفسير القرآن في وقت تساهل بعض الناس في الخوض في تفسيره بالعلوم التجريبية ومكتشافاتها الحديثة، وتطويع

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول القرآن وأول ما نزل (6/ 97) برقم (4981)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (1/ 134) برقم (152).

الآيات، وتنزيلها عليها.

3 – أن الدراسات الموجودة تتناول علاقة العلم التجريبي بالإعجاز العلمي بوجه عام[2]، ولم أجد – حسب علمي – من أفرد علاقة العلم التجريبي بمعجزات الأنبياء ببحث مستقل.

مشكلة البحث:

قيام بعض المشتغلين بالإعجاز العلمي بالحديث عن معجزات الأنبياء عليهم السلام ومحاولة ربطها، وتقريبها للناس بالعلم التجريبي ومكتشفاته الحديثة. والمعجزات من قضايا العقيدة، والخطأ فيها ليس كالخطأ في غيرها، وقد يقع بعض الناس في الخطأ عند تناولها، وربطها بالعلم التجريبي. والبحث يُعنى بدراسة ذلك، وبيان المقبول والمردود.

حدود البحث:

أوجه العلاقة بين العلم التجريبي، ومعجزات الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، والتمثيل عليها من القرآن.

هدف البحث:

بيان أوجه العلاقة بين العلم التجريبي، ومعجزات الأنبياء من خلال كلام أصحاب العلم التجريبي عن معجزات الأنبياء الواردة في القرآن الكريم، ودراستها، ونقدها.

أسئلة البحث:

ما الحد الذي يجب أن تقف عنده أبحاث الإعجاز العلمي، ودراساته؟.

وما إسهامات العلم التجريبي بمكتشفاته الحديثة في تقرير معجزات الأنبياء؟ وهل حقق شيئاً من ذلك؟.

وما أبرز سلبيات تقرير معجزات الأنبياء، وإثباتها عن طريق الاكتشافات التجريبية الحديثة؟.

منهج البحث وإجراءاته:

1 – سأسلك المنهج التحليلي في بيان أوجه العلاقة بين العلم التجريبي ومعجزات الأنبياء عليهم السلام.

2 – التمثيل على أوجه العلاقة بين العلم التجريبي ومعجزات الأنبياء من القرآن الكريم.

3 – التعليق على كل مثال أذكره، ونقده، وبيان قوته أو ضعفه.

خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

- **التمهيد:** في تعريف العلم التجريبي والمعجزات.
- **المبحث الأول:** أهمية المعجزات، وأثرها في الإيمان بالله.
- **المبحث الثاني:** فروق مهمة بين معجزات الأنبياء

(2) ومنها: التفسير بمكتشفات العلم التجريبي بين المؤيدين والمعارضين، د. محمد الشايع، والإعجاز العلمي وعلاقته بالمنهج التجريبي المعاصر، د. قتيبة جسام الراوي.

عليهم السلام ومكتشفات العلم التجريبي.

- **المبحث الثالث**: موقف أصحاب العلم التجريبي من المعجزات، وفيه ثلاثة مطالب:
  - **المطلب الأول**: الاستدلال على المعجزات، وتقريرها بالعلم التجريبي.
  - **المطلب الثاني**: رد المعجزات، وإنكارها.
  - **المطلب الثالث**: تأويل المعجزات بمكتشفات العلم التجريبي.
- **الخاتمة**: أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل أن يوفقني للصواب، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم.

***

التمهيد

أولاً: تعريف العلم التجريبي.

العلم التجريبي قسيم العلم النظري؛ القائم على النظر والتفكير، ويعرَّف العلم النظري بأنه: علم يُعنى بوضع النظريّات الجديدة على أسس المعرفة القائمة دون تجريب. أما العلم التجريبي فهو مأخوذ من التجربة؛ لأنه يمر في أحد مراحله بالتجربة. والعلوم التجريبية هي التي تخضع للتجربة، وسميت علوماً تجريبية؛ لأنها تتبنى المنهج الاستقرائي التجريبي في أوسع معانيه، أي: باعتباره منهجاً ينتقل الباحث فيه من الظواهر إلى القوانين التي تحكمها، ويمر هذا المنهج بمراحل مختلفة تبدأ بالملاحظة والتجربة، ثم الفرض، وصولاً إلى القانون.

وعليه فالعلوم التجريبية هي القائمة على التجارب الحسية في الطبيعة ومشاهداتها؛ المبنية على النظر والتأمل في مخلوقات الله، واستخلاص القوانين والوصول إلى الحقائق[3].

ولم تكن العلوم التجريبية وليدة العصر الحديث، فقد كان للعلماء المتقدمين حديث مستفيض في العلوم التجريبية بمفهومها المتقدم، وبرز غير واحد من علماء المسلمين في العلوم التجريبية، فكانوا رواداً في مجالات شتى: في الطب، والفلك، والهندسة، والرياضيات، والكيمياء وغيرها، كما أنهم التزموا المنهج التجريبي، فجعلوا التجربة العملية شرطًا للوصول إلى الحقيقة العلمية[4].

لكنَّ العلوم التجريبية في هذا العصر أخذت أبعاداً أخرى، فتوسعت مجالاتها، وزادت - بشكل غير مسبوق - إمكانات العلماء بما حباهم الله من خيرات الأرض، وأخرج لهم من كنوزها، فزادت مكتشفاتهم

(3) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار (1/ 357)، والإسلام والعلم التجريبي، للسويدي ص (14)، والاستقراء والمنهج العلمي، لزيدان ص (44).

(4) ينظر: كتاب الإسلام والعلم التجريبي ص (19)، ومقال: العلماء المسلمون ووضع المنهج التجريبي العلمي، د. محمود الجوهري، http://www.alukah.net/library/11498/7748.

ومخترعاتهم في شتى المجالات بصورة لو رآها العلماء المتقدمون – فضلاً عن العامة – لبهروا بها، ولأجل ذلك ظن بعض الناس أن العلم التجريبي إذا أُطلق فهو من مستحدثات هذا العصر، وليس الأمر كذلك.

ثانياً: تعريف المعجزات.

المعجزات: جمع معجزة، وهذا اللفظ «معجزة» لم يرد في الكتاب ولا في السنة، ولا على ألسنة الأئمة المتقدمين، وإنما الذي ورد لفظ الآية، والبينة، والبرهان[5].

ولفظ المعجزة مشتق من العجز، وأصله اللغوي: التأخر عن الشيء، ثم صار اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، قال الله – تعالى – على لسان ابن آدم: ﴿ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ ﴾ (المائدة: 31)، وأعجزت فلاناً وعجزته وعاجزته: جعلته عاجزاً؛ قال – تعالى –: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ ﴾ (التوبة: 2)[6].

المعجزة في الاصطلاح:

عرفت المعجزة بتعريفات عديدة، أشهرها: أنها أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة[7].

غير أن بعض المحققين يتحفظ على هذا التعريف، ويرى عدم دقته ومطابقته الحد الجامع المانع، ومن إشكالات هذا التعريف:

اشتراط اقتران المعجزة بالتحدي، ويعبر عنه بعضهم: اقتران المعجزة بدعوى النبوة[8].

وهذا القيد في التعريف ليس بلازم؛ لأن المعجزة قد تأتي مع الموافقين كما حصل للنبي ﷺ في مواقف كثيرة مع أصحابه، وهم موافقون مؤمنون، يقول ابن حزم رحمه الله (ت463): «إن اشتراط التحدي في كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة، لا دليل على صحتها، لا من قرآن، ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة، ولا من إجماع، ولا من قول صاحب، ولا من حجة عقل. ولو كان الأمر كذلك لسقطت أكثر آيات رسول الله ﷺ كنبعان الماء من بين أصابعه، وإطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعناق، وسائر معجزاته العظام؛ لأنه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله أحداً، ولا عمله إلا بحضرة أهل اليقين من أصحابه رضي الله عنهم، ولم يبق له آية

(5) ينظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية حول ذلك في: مجموعة الفتاوى (11/ 311)، والنبوات، لابن تيمية (1/ 215، 2/ 782، 785).

(6) مفردات ألفاظ غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص (547).

(7) انظر هذا التعريف في: التعريفات، للجرجاني ص (273)، والإتقان، للسيوطي (2/ 148)، ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (2/ 290)، ومناهل العرفان للزرقاني (1/ 66).

(8) ينظر: التعريفات، للجرجاني ص (273)، ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (2/ 290).

حاشا القرآن، ودعاء اليهود إلى تمني الموت، وشق القمر فقط»[9].

ويقول ابن تيمية رحمه الله (ت728): «إن عامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها، ويقول: ائتوا بمثلها، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا: إنه افتراه، ولم يتحدهم به ابتداءً، وسائر المعجزات لم يتحد بها، وليس فيما نُقل تحد إلا بالقرآن، لكن قد علم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء، فهذا لازم لها، لكن ليس من شرط ذلك أن يقارن خبره»[10].

ويقول: «ليس من شرط دلائل النبوة: لا اقترانه بدعوى النبوة، ولا الاحتجاج به، ولا التحدي بالمثل، ولا تقريع من يخالفه، بل كل هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات، لكن لا يجب أن ما لا يقع معه لا يكون آية، بل هذا إبطال لأكثر آيات الأنبياء لخلوها عن هذا الشرط»[11].

وإنما نقلت هذا الكلام للتأكيد على أن اشتراط التحدي في تعريف المعجزة مذهب ضعيف، وعليه فمعجزة النبي تقع مع المكذب المخالف إقامةً للحجة عليه، وتقع مع المؤمن الموافق تثبيتاً له وزيادة في إيمانه، بل إنها تقع للنبي نفسه كما وقع لإبراهيم عليه السلام في قصته مع الطير، فإنه طلب ما طلب ليطمئن قلبه، وكذلك ما وقع ليونس عليه السلام والتقام الحوت له، فإنه المعني بها بالدرجة الأولى، وكان أثرها كبيراً في نفسه؛ إذ رجع إلى قومه داعياً، فآمن منهم مائة ألف أو يزيدون، وكذلك قد تقع المعجزة قبل مبعث النبي إرهاصاً لنبوته، وقد ذكر ابن تيمية أن حادثة الفيل وقعت لأجل النبي ﷺ الذي ولد في عامه[12]، وقد تقع المعجزة بعد وفاة النبي بزمن، والأمثلة على ما تقدم كثيرة جداً[13].

وعليه فإن أقرب تعريفات المعجزة للصواب: أنها آيات وبراهين يؤيد الله – تعالى – بها أنبياءه ورسله للدلالة على صدقهم، وأنهم مبعوثون من عند الله، تعالى[14].

***

المبحث الأول

أهمية المعجزات وأثرها في الإيمان بالله.

تظهر أهمية المعجزات التي أيد الله – تعالى – بها رسله عليهم السلام من وجوه عديدة:

(9) الفصل في الملل والنحل، لابن حزم (5/ 5-6) بتصرف.

(10) النبوات (2/ 794).

(11) المصدر السابق (1/ 604).

(12) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (4/ 122).

(13) بل ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أبعد من ذلك في كتابه: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (206) فقرر أن «كرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ؛ مثل انشقاق القمر، وتسبيح الحصى في كفه».

(14) ينظر قريباً من هذا التعريف في المصدر السابق (2/ 778).

أولاً: أن الله – تعالى – جعلها من الحجج القوية التي يؤيد بها رسله؛ لبيان صدقهم في دعوتهم؛ ولأجل ذلك لم يخل نبي من الأنبياء عليهم السلام من تأييده بالمعجزات، ودل لذلك حديث: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر)[15].

قال ابن حجر رحمه الله (ت852): «قوله: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي)، هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه، ولا يضره من أصر على المعاندة»[16].

ومع قوة دلالة المعجزة على صدق النبي، فإن من الخطأ حصر دليل النبوة وصدق النبي في معجزته فقط، بل دلائل صدق الأنبياء كثيرة متنوعة[17]؛ ومن أهمها وأقواها: تأييد الله – تعالى – لهم بالمعجزات.

جاء في شرح العقيدة الطحاوية[18]: «لا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة».

ثانياً: أن الله – تعالى – ذم الكفار بسبب إعراضهم عن الإيمان بالمعجزات، وتوعدهم بالعذاب الشديد، قال الله – تعالى –: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر: 2)، وقال – تعالى –: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الأنعام: 4-5)، وقال – تعالى –: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ ﴾ (الأنعام: 25)، وقال – تعالى – عن قوم فرعون: ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: 132)، وقال: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ (النمل: 14).

ثالثاً: أن الله – تعالى – رتب على التكذيب بالمعجزات العقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة، قال الله – تعالى – في المائدة التي طلبها الحواريون: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: 115).

ولخطورة التكذيب بالمعجزات وعقوبته العاجلة في الدنيا امتنع الله – جل وعلا – عن إرسال الآيات إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع الإلحاح الشديد من مشركي قريش،

(15) سبق تخريجه في المقدمة.

(16) فتح الباري لابن حجر (9/ 6).

(17) ينظر في ذلك: النبوات، لابن تيمية (1/ 522)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (1/ 30-31).

(18) (1/ 140).

قال الله – تعالى –: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾ (الإسراء: 59).

وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن نستأني بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوا، فإن كفروا أُهلِكوا كما أَهلكتُ من كان قبلهم من الأمم: قال: (لا بل استأن بهم)[19].

وقال الله – تعالى – عن قوم فرعون: ﴿ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴾ إلى أن قال: ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴾ (الأعراف: 132-136).

رابعاً: ومما يدل على أهمية المعجزات سلطانها القوي في قبول دعوة الرسل، وأثرها الكبير في إيمان الناس، ودخولهم في الدين، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر)، والمعنى: أن كل نبي أُعطي آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها، و«عليه» في لفظ الحديث بمعنى اللام، أو الباء الموحدة، أي: بسببه، وإنما جاء التعبير بلفظ (عليه) لتضمنها معنى الغلبة؛ أي: يؤمن بذلك مغلوباً عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه، لكن قد يجحد فيعاند، كما في قوله – تعالى –: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ (النمل:14)[20].

وأكد ذلك ﷺ في نهاية الحديث بقوله: (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)، وإنما كثر أتباع النبي ﷺ بسبب استمرار معجزته إلى يوم القيامة، قال ابن حجر رحمه الله: «ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه.....، قوله: (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)، رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة؛ لكثرة فائدته وعموم نفعه؛ لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون، فعم نفعه من حضر، ومن غاب، ومن وجد، ومن سيوجد»[21].

(19) مسند الإمام أحمد (1/ 258)، والنسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ (6/ 380) برقم (11290)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (15/ 87) مطولاً، والحاكم في المستدرك (2/ 362) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (7/ 50): رجاله رجال الصحيح.

(20) فتح الباري، لابن حجر (9/ 6).

(21) المرجع السابق (9/ 7).

وسر ذلك أن معجزات الأنبياء عليهم السلام تدل على عظمة الخالق – جل وعلا – وعظيم قدرته، وأنه يقول للشيء: كن فيكون، وأنه – جل وعز – قادر على تغيير السنن الكونية تأييداً لأنبيائه ورسله وتصديقاً لما جاؤوا به، وحينئذ لا يملك المنصفون غير الإذعان للحق والإيمان بالرسل، والخضوع لله حين تمتلئ قلوبهم من تعظيم الله وتوقيره وإجلاله.

ويكفي شاهداً على ذلك قصة سحرة فرعون، فمع كثرة عددهم وتمكنهم من علم السحر، لما رأوا معجزة موسى عليه السلام حين ألقى عصاه، فإذا هي حية تسعى لم يملكوا إلا أن يخروا سجداً لله – تعالى – في الحال، ويذعنوا لعظمته وجبروته، ويؤمنوا بموسى، ويؤثروه على ما يلاقونه من طغيان فرعون وجنوده، ووعيده لهم بالقتل والصلب، قال الله – تعالى –: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ۝٧١ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (طه: 70–73).

وما كان سحرة فرعون ليقبلوا بهذا الأمر الخطير من القتل والتقطيع والصلب مع يقينهم بأن فرعون لن يتردد في تنفيذ وعيده (22) إلا بسبب ما وقع في قلوبهم من الإيمان العظيم بالله وتوقيره وإجلاله، ولذا ختموا بقولهم: ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾.

خامساً: لما كانت معجزات الأنبياء عليهم السلام ودلائل صدقهم بهذه الأهمية من حاجة الناس إليها وأثرها الكبير في إيمانهم بالرسل، يسرها الله، وبينها للخلق؛ ولهذا جاء وصفها بالبينات، قال الله – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ (الإسراء: 101)، وقال: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ (البقرة: 92).

قال ابن تيمية: «ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر والبين لكل أحد؛ كالحوادث المشهودة؛ مثل: خلق الحيوان والنبات والسحاب وإنزال

(22) قال ابن كثير في تفسيره (5/ 298): «والظاهر أن فرعون – لعنه الله – صمم على ذلك وفعله بهم، رحمهم الله؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف: أصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء»، وفي تيسير الكريم المنان، لابن سعدي ص (509): «وجميع ما أتى من قصص موسى مع فرعون يذكر الله فيه إذا أتى على قصة السحرة أن فرعون توعدهم بالقطع والصلب، ولم يذكر أنه فعل ذلك، ولم يأت في ذلك حديث صحيح، والجزم بوقوعه أو عدمه يتوقف على الدليل، والله أعلم بذلك وغيره، ولكن توعده إياهم بذلك مع اقتداره دليل على وقوعه، ولأنه لو لم يقع لذكره الله، ولاتفاق الناقلين على ذلك»، وانظر الخلاف في ذلك في: المحرر الوجيز، لابن عطية (6/ 112)، وأضواء البيان، للشنقيطي (4/ 591).

المطر وغير ذلك..... فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله»[23].

ومن تيسير المعجزات وظهورها: تنوعها وتعددها وكثرتها، وهي لنبينا محمد ﷺ أكثر، قال ابن تيمية: «والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة، وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء»[24].

***

المبحث الثاني

فروق مهمة بين معجزات الأنبياء عليهم السلام ومكتشفات العلم التجريبي

لتحديد العلاقة بين العلم التجريبي ومعجزات الأنبياء عليهم السلام لا بد من بيان الأمور الآتية:

أولاً: أن معجزات الأنبياء عليهم السلام لا تجري على الأسباب ومسبباتها، ولا تجري على الأمور التي اعتادها الناس، فانشقاق القمر لمحمد ﷺ نصفين، وعدم تأثر إبراهيم عليه السلام بإلقائه في النار، وانقلاب عصا موسى عليه السلام حية، والتقام الحوت ليونس عليه السلام وبقائه في بطنه إلى حين ونحوها، من الأمور غير المعهودة، لا تجري على الأسباب الطبيعية التي اعتادها الناس، وقد قرر العلماء ذلك أتم تقرير:

قال ابن تيمية رحمه الله: «آيات الأنبياء التي يُعلم أنّها مختصة بالأنبياء، وأنّها مستلزمه لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بُدّ أن تكون خارقةً للعادة، خارجةً عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحداً أن يعارضها..... وآيات الأنبياء تدلّ على صدقهم، وهذا لا يكون إلا مع كونها مستلزمه لصدقهم؛ فيمتنع أن تكون معتادة لغيرهم، ويمتنع أن يأتي من يعارضهم بمثلها، ولا يمتنع أن يأتي نبي آخر بمثلها، ولا أن يأتي من يصدّقهم بمثلها؛ فإنّ تصديقه لهم يتضمن صدقهم، فلم يأت إلا مع صدقهم»[25].

وقال: «لابد في آيات الأنبياء أن تكون – مع كونها خارقة للعادة – أمراً غير معتاد لغير الأنبياء، بحيث لا يقدر عليه إلا الله الذي أرسل الأنبياء، ليس مما يقدر عليه غير الأنبياء، لا بحيلة ولا عزيمة، ولا استعانة بشياطين، ولا غير ذلك. ومن خصائص معجزات الأنبياء أنه لا يمكن معارضتها، فإذا عجز النوع البشري غير الأنبياء عن معارضتها، فإن ذلك أعظم دليل على اختصاصها بالأنبياء، بخلاف ما كان موجودا لغيرها، فهذا لا يكون آية البتة، فأصل هذا أن يعرف وجود الأنبياء وخصائصهم كما يعلم وجود السحرة وخصائصهم»[26].

---

(23) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (4/ 79).

(24) المصدر السابق (4/ 67)، وقد ذكر في الكتاب نفسه (1/ 144) أن معجزات نبينا محمد ﷺ تزيد على ألف معجزة.

(25) النبوات (2/ 775).

(26) المرجع السابق (1/ 195).

ويقول ابن حزم رحمه الله: «معجز الأنبياء خارج عن الرتب وعن طبائع كل ما في العالم، وعن بنية العالم، لا يجري شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم، لكن قلب عين، وإحالة صفات ذاتية كشق القمر، وفلق البحر، واختراع طعام وماء، وقلب العصا حية، وإحياء ميت قد أرم، وإخراج ناقة من صخرة..... وما أشبه هذا، من إحالة الصفات الذاتية التي بوجودها تستحق الأسماء، ومنها تقوم الحدود»[27].

ثانياً: خرق الله - تعالى - العادات للأنبياء عليهم السلام من سننه الخاصة بأنبيائه ورسله التي اقتضت حكمته - جل وعلا - إجراؤها على أيديهم، فهي من هذه الحيثية جارية على مقتضى السنن الإلهية، وإن كانت خارقة لما جرت عليه العادة.

قال ابن تيمية رحمه الله: «ولم تكن له - سبحانه - عادة بأن يجعل مثل آيات الأنبياء لغيرهم، حتى يقال: إنه خرق عادته ونقضها، بل عادته وسنته المطردة أن تلك الآيات لا تكون إلا مع النبوة، والإخبار بها، لا مع التكذيب بها، أو الشك فيها، كما أن سنته وعادته أن محبته، ورضاه، وثوابه لا يكون إلا لمن عبده وأطاعه، وأن سنته وعادته أن يجعل العاقبة للمتقين، وسنته وعادته أن ينصر رسله، والذين آمنوا، كما قال - تعالى -: ﴿ وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ۝٢٢ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ (الفتح: 22-23)، وكل ما يظن أنه خرقه من العادات، فله أسباب انخرقت فيها تلك العادات، فعادته وسنته لا تتبدل؛ إذ أفعاله جارية على وجه الحكمة والعدل، هذا قول الجمهور»[28].

ثالثاً: من الأمور المسلمة في المخترعات والمكتشفات الحديثة أنها ليست خارقة للعادة، ولكنها أمور كسبية، لها قوانينها وسننها المعروفة، ومن تعلمها، وتفرغ لها حقق نتائجها[29].

ومن هنا فالمعجزة أعظم من المكتشفات الحديثة، بل أصغر المعجزات يصغر بجانبها أعظم مكتشفات العلم الحديث؛ لأن المعجزة لا بد أن تكون خارقة لنظام العالم، وإلا لا تكون معجزة بمعناها الحقيقي[30].

رابعاً: من مواطن الاشتباه هنا أن المكتشفات الحديثة فيها غرابة من جهة أن الناس لم يعتادوا عليها فيستعظمونها، وقد ينسبونها إلى أعمال السحرة والجن والشياطين، كما وقع في مخترعات النقل والاتصالات وغيرها أول ظهورها، وعند إنعام النظر في هذه المكتشفات نجدها تسير مع الأمور الطبيعية، وهي قائمة على الأخذ بالأسباب، وإن بذل مخترعوها جهوداً كبيرة

(27) الفصل في الملل والأهواء والنحل (5/ 4).

(28) النبوات (2/ 868).

(29) الضوابط الشرعية للاكتشافات الجديدة، لشهوان (ص133)

(30) موقف العقل والعلم من رب العالمين، لمصطفى صبري (4/ 29).

في الوقت والمال والتفكير والتحليل حتى توصلوا إليها.

أما المعجزات فهي خارجة عن الأسباب، وهي متعلقة بالأمر الإلهي، فإبراهيم لم يزد حين ألقي في النار على قول: حسبنا الله، ونعم الوكيل، كما صح عن ابن عباس[31]، فقال الله: ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (الأنبياء: 69)، وموسى حين استرهب السحرةُ الناسَ بحبالهم وعصيهم لم يزد على إلقاء عصاه ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ (الأعراف: 117)، وتحولت العصا حين ألقيت إلى ثعبان يلتقف إفك السحرة، وهكذا في سائر معجزات الأنبياء.

ومن هنا يستحيل التشابه بين معجزات الأنبياء في صورتها التي وقعت لهم مع المكتشفات التجريبية الحديثة؛ لأن معجزات الأنبياء ليست قائمة على الأسباب المادية التي يقوم عليها العلم التجريبي.

***

المبحث الثالث

موقف أصحاب العلم التجريبي من معجزات الأنبياء عليهم السلام

دخلت العلوم التجريبية ومكتشفاتها بجوانبها وتعقيداتها المختلفة جميع نواحي الحياة المعاصرة، وقد أثرت بوضوح في حياة الناس وتصرفاتهم ومعاملاتهم، بل وعباداتهم، فجدت للناس نوازل لم تكن معلومة من قبل؛ واحتاج العلماء معها إلى بيان الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى وتحصر، ومما أثرت فيه العلوم التجريبية ما يتعلق بما ذكره الله في كتابه العزيز من بديع خلقه وعجائب صنعه في الأنفس والآفاق، فاختلفت نظرة العلماء إلى تلك الآيات وفهمهم لها.

ومما أثرت العلوم التجريبية في فهمه والموقف منه ما ذكره الله من الآيات التي أيد بها الأنبياء عليهم السلام، ذلك أن كثيراً من المخترعات الحديثة فيها من الدقة والتعقيد والتقانة ما بهرت العقول مما كان له أثر في فهم المعجزات، فتباينت مواقف المعاصرين منها:

فمنهم من أفاد منها واستدل بها في تقرير المعجزات وتقريبها للأذهان، وبيان عدم استحالتها أو مخالفتها العقل، ومنهم من ردها متأثراً بالمخترعات الحديثة؛ زاعماً أن البشر بما أوتوا من تقدم في العلم والاختراع قادرون على الإتيان بمثلها، وأن ما جاء به الأنبياء عليهم السلام يتفق مع ما اكتشف حديثاً، وهذا ما سنعرض له بشيء من التفصيل والبيان والنقد في مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: الاستدلال على المعجزات، وتقريرها بالعلم التجريبي:

مما تميزت به معجزات الأنبياء عليهم السلام ظهورها ووضوحها؛ ولذلك يتواتر الناس على نقلها، وبخاصة

(31) صحيح البخاري (5/ 172).

المعجزات الكبار، فهي منقولة إلينا بالنقل المتواتر الذي يستحيل رده، وقد احتج أهل الكتاب بأن معجزات موسى وعيسى عليهما السلام منقولة بالتواتر، فقيل لهم: إن معجزات نبينا ﷺ أبلغ وتواترها أعظم، ومثل لذلك ابن تيمية بانشقاق القمر في عهد النبي ﷺ، فقد كان ﷺ يقرأ سورة القمر، ويقرأ قوله - تعالى -: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾ (القمر:1) في المجامع الكبار، مثل صلاة الجمعة والعيدين؛ ليسمع الناس ما فيها من آيات النبوة ودلائلها، وكان الناس يقرون بذلك، ولا ينكره منهم أحد، وهذا يدل على أن انشقاق القمر معلوم عند عامة الناس(32).

وبناءً على هذا فالمعجزات لا تفتقر في صحتها إلى الاكتشافات العلمية الحديثة، وإنما المعتبر فيها وصولها إلينا بالأسانيد الصحيحة، والاكتشافات العلمية تذكر للاستئناس لا للاعتماد، وهذا مما يجب على المؤمن التسليم به، ولكن بالنظر إلى غلبة الماديات في العصر الحديث، وتعظيم العقل البشري، وركوب الموجات الإلحادية، وقع بعض الناس في إنكار المعجزات واستبعادها، فرأى بعض المشتغلين بالتفسير العلمي مواجهة تلك الموجات واللوثات الفكرية، واستخدام المكتشفات الحديثة في تقريب المعجزات وتقريرها.

(32) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (1/ 152).

والاستدلال للمعجزات وتقريرها بالعلم التجريبي والمكتشفات الحديثة على نوعين:

النوع الأول: قيام العلم التجريبي بالبحث عن آثار المعجزات والاستدلال بتلك الآثار على وقوعها، ذلك أن المتقرر أن معجزات الأنبياء عليهم السلام سوى القرآن الكريم، قد انقرضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها[33].

ومن أمثلة هذا النوع: حادثة انشقاق القمر؛ فإن نفس الحادثة وقعت في عهد النبي ﷺ وانتهت في وقتها، لكن اجتهد بعض المشتغلين بالتفسير العلمي في البحث عن آثار ذلك الانشقاق، وتوصلوا إلى وجود شق في القمر يبلغ طوله عدة مئات من الكيلومترات، ثم كشفوا عدداً من التشققات على سطح القمر، ولم يعرفوا حتى الآن سبب وجود هذه الشقوق، ويعتقد بعض العلماء أنها نتيجة لتدفق بعض الحمم المنصهرة، وتبقى هذه وجهة نظر فقط، وهناك عدد كبير من التشققات على سطح القمر، وبعض هذه التشققات أشبه «بوصلات لحام»، وكأننا أمام سطح معدني تشقق، ثم التحم[34].

(33) الإتقان، للسيوطي (2/ 149).

(34) مقال: هل صحيح أن علماء وكالة ناسا اكتشفوا أن القمر قد انشق نصفين؟، لعبد الدائم الكحيل على الإنترنت:
http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-31-08/1125-2013-03-28-01-41-33

وهذا التقرير الذي لا يزال قيد البحث، كما يؤكد ذلك المشتغلون التفسير العلمي، وهو ظني الثبوت، وهو - أيضاً - ظني الدلالة على حادثة انشقاق القمر، وهو إن قُبل على سبيل الاستئناس، فإنه لا يمكن أن يكون بموازاة وقوة الدليل النقلي المتواتر الذي سبق تقريره في هذه الحادثة، والذي يُعد قطعي الثبوت قطعي الدلالة.

ومن هذا النوع مباحث الإعجاز العلمي، أو التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم، ودلالتها على الاكتشافات العلمية، وهذا هو الذي أُلفت فيه مؤلفات الإعجاز العلمي، وهي في محصلتها النهائية ترجع إلى هدف واحد، وهو إثبات إعجاز القرآن العلمي، وإظهار صدق النبي ﷺ في دعوى النبوة من خلال معجزته الخالدة، وكيف أخبر عن هذه المكتشفات الحديثة منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب؟!!.

النوع الثاني: استخدام المكتشفات والمخترعات الحديثة والإفادة منها في تقريب وقوع معجزات الأنبياء عليهم السلام وعدم استحالتها عقلاً.

وحتى يكون الاستدلال على المعجزات وتقريبها وتقريرها بالمكتشفات الحديثة مقبولاً، يجب أن يكون من باب قياس الأولى، وبيان أنه إذا كانت هذه المخترعات الحديثة العجيبة في مقدور البشر، فقدرة الخالق أعظم وأتم وأكمل.

والاستدلال بقياس الأولى في باب الأسماء والصفات وأفعال الله - تعالى - جائز، قال الله - تعالى -: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (النحل: 60).

ومن القواعد التي قررها العلماء في هذا الباب «أن كل كمال للممكن أو للمحدث لا نقص فيه بوجه من الوجوه - وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه - فالواجب القديم أولى به، وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق والمربوب المدبر، فإنما استفادة من خالقه وربه ومدبره، وهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه - وهو ما تضمن سلب هذا الكمال - إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات، فإنه يجب نفيه عن الرب - تعالى - بطريق الأولى»[35].

والممنوع القياس التمثيلي الذي يستوي فيه الأصل والفرع، وكذلك القياس الشمولي الذي يستوي أفراده؛ فإن الله - سبحانه - ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها[36].

وقياس الأولى في المعجزات استدل به أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حادثة الإسراء، فعن الزهري (ت 124): أن المشركين ذهبوا إلى أبي بكر، فقالوا: إن

(35) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (1/ 87-88).

(36) المرجع السابق.

صاحبك يقول: إنه قد ذهب إلى بيت المقدس في ليلة ورجع، قال: أو قال ذلك؟، قالوا: نعم، قال: فأشهد، إن كان قال ذلك، لقد صدق. قالوا: تصدقه في أن ذهب إلى بيت المقدس ورجع؟!، قال: نعم أصدقه بما هو أبعد من ذلك في خبر السماء غدوة وعشية، قال: فسمي الصديق لذلك[37].

ومع التأكيد على وجوب أن يكون الاستدلال على المعجزات بالمكتشفات الحديثة من باب التقريب وقياس الأولى فقط، ينبغي التنبيه إلى أن بعض الناس يبالغ في تقرير المعجزات وتقريبها إلى الأذهان بالمكتشفات الحديثة حتى يصل إلى تفسير المعجزة ذاتها تفسيراً علمياً، فيخرجها عن أن تكون خارقة للعادة، فتكون أشبه بالأمور العادية التي لا إعجاز فيها، وتخرج من قياس الأولى إلى القياس التمثيلي الذي يستوي فيه الفرع والأصل، مثل ما ذكره عبد القادر المغربي (ت 1956م) في التقام الحوت ليونس عليه السلام حيث قال: «هذا هو خبر سيدنا يونس حسبما أخذناه من النصوص الصحيحة، وليس فيه ما يستبعد وقوعه، اللهم إلا التقام الحوت له ومكثه في بطنه حينًا من الزمن حيًّا يُرزق، ثم نبذه في ذلك الفضاء، على أنه إن حق لأهل القرون الماضية أن يستبعدوا خبر صاحب الحوت؛ فلا يحق لأبناء عصرنا ذلك الاستبعاد بعد أن رأوا بأعينهم سبح الكثير منهم في بطون الغواصات أيامًا متطاولات تحت البحار الطاميات، وطيرانهم مثل ذلك في أجواء السماوات».

والكلام إلى هنا يمكن قبوله في تقريب التقام الحوت ليونس وبقائه مدة في أعماق البحر.

لكن قوله بعد ذلك: «فالإله الذي خلق العقل البشري، ومهد له سبيل الوصول إلى مثل هذه العجائب؛ ألا يكون قادرًا على أن ييسر حصول مثله لعبده يونس ببعض الأسباب التي لم تزل مجهولة لنا؟!، هذا ما نقوله للمتسائل المتعجب، أما نحن معشر المسلمين، فنؤمن بما ورد في الكتاب ما دام أنه غير محال في العقل»[38].

وكلامه هذا يخرج الأمر عن الإعجاز، فما حصل ليونس يمكن حصوله لغيره؛ لأنه حصل ليونس بأسباب لا نعلمها!!.

ولو كان ما وقع ليونس عليه السلام بسبب بعض الأسباب المادية التي لم تزل مجهولة لنا لما احتاج عليه السلام إلى الاقتراع، ولبادر إلى إلقاء نفسه في البحر دون استهام؛ لأن معه - على حد قول المغربي - من الوسائل ما يمكِّنه من البقاء حياً في بطن الحوت هذه المدة، ولخرج من بطن

(37) تفسير عبدالرزاق الصنعاني (1/ 324)، والمستدرك للحاكم (3/ 62) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1/ 551-554)، وصححه بشواهده.

(38) تفسير جزء تبارك ص (29-30).

الحوت سليماً غير سقيم مثلما يخرج الغواصون من غواصاتهم في كامل صحتهم وعافيتهم، وهذا كله مما يضعف الاستدلال بهذه المخترعات، ويؤكد أن ما وقع ليونس عليه السلام خارج عن طاقة البشر.

ومن أمثلة الاستدلال على المعجزات، وتقريرها بالعلم التجريبي: الاستدلال على إمكانية الوحي ببعض المكتشفات الحديثة.

والوحي - في اصطلاح العلماء - إعلام الله - تعالى - من يصطفيه من عباده بواسطة جبريل عليه السلام[39]، وهو بهذا المعنى من خوارق العادات ومن خصائص الأنبياء عليهم السلام دون سواهم.

وقضية وحي الله - تعالى - إلى أنبيائه ورسله من القضايا التي أنكرها الكفار قديماً وحديثاً، واستبعدوا وقوعها، وقد زعموا أن ما يأتي به النبي ﷺ إنما هو من الشياطين، فرد الله - تعالى - عليهم بقوله: ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴾ (الشعراء: 210-223).

وإنكار الوحي من الخطورة بمكان؛ لأن مبدأ النبوة من الوحي، والوحي معجز من حيث هو أمر خارق للعادة، فإنكاره إنكار للنبوة[40].

ولا يزال إنكار الوحي واستبعاده قائما في هذا العصر بسبب ظهور النزعة المادية الحديثة، وبروز الإلحاد وتقديس المحسوسات، وعدم الإيمان بالغيبيات، ومن شبه منكري الوحي: استبعاد نزول الوحي بهذه السرعة الكبيرة في لحظة، وإنكار أن يرى النبي ما لا يرى غيره، ويسمع ما لا يسمع غيره.

وقد رُد عليهم بأن هذه الشبه إن ساغ مثلها في عصور الجاهلية الأولى فكيف تسوغ اليوم، وقد ملئت الأرض بالآيات العلمية التي تقرب لعقولنا تلك الحقائق الغيبية[41].

ومن الوسائل التي ذكرها بعض العلماء في تقريب وحي الله - تعالى - إلى رسله ما يأتي:

أولاً: تقريب سرعة الوحي مع البعد الكبير في المسافة بين تلقي جبريل للوحي من الله، ثم نزوله على النبي ﷺ في لحظات، وتقرير ذلك «أن العلم الحديث استطاع أن يخترع من العجائب ما نعرفه ونشاهده، وننتفع به، مما يسمونه التليفون واللاسلكي والميكرفون

(39) ينظر: مناهل العرفان (1/ 56)، ومباحث في علوم القرآن للقطان ص (29).

(40) موقف العقل والعلم من رب العالمين (4/ 40).

(41) ينظر في هذه الشبه والرد عليها: النبأ العظيم، لدراز ص (74) والكلام الأخير منه، ومناهل العرفان (1/ 11)، وكتاب وحي الله حقائق وخصائص في الكتاب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين، د. حسن عتر ص (139-221).

والراديو والكهرباء، وعن طريق أولئك أمكن الإنسان أن يخاطب من كان في آفاق بعيدة عنه، وأن يفهمه ما شاء، ويرشده إلى ما أراد، فهل يعقل بعد قيام هذه المخترعات المادية من الإنسان المخلوق أن يعجز الإله القادر عن أن يوحي إلى بعض عباده ما شاء عن طريق الملك أو غير الملك؟!، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً»[42].

ومع قدرة هذه المخترعات على تقريب البعيد فإن التيارات والموجات الكهربائية الموجودة فيها والتي تقوم بنقل الصوت والصور من آفاق بعيدة عبر الأثير لا يراها الإنسان الذي قام باختراعها والانتفاع بها، وإنما يشاهد آثارها، وهو مع ذلك لا يشك في وجودها، أفلا يكون الخالق العظيم الذي منح الإنسان القدرة على إيجاد هذه المخترعات قادراً على إيصال الحق بوسيلة لا ترى بالعين إلى رسله وأنبيائه[43].

ثانياً: الاتصال الروحي بين الملك والنبي ﷺ وإيحاء ما يريده - تعالى - من أمره، وتقرير ذلك في «أعجوبة التنويم المغناطيسي، فقد أصبح الرجل القوي الإرادة يستطيع أن يتسلط بقوة إرادته على من هو أضعف منه حتى يجعله ينام بأمره نوماً عميقاً لا يشعر فيه بوخز الإبر، وهنالك يكون رهين إشارته، وتنمحي إرادته في إرادته..... وإذا كان فعل هذا الإنسان بالإنسان فما ظنك بمن هو أشد منه قوة؟!»[44].

ونحن إن قبلنا هذا الاستدلال لقضية الوحي بالمكتشفات التجريبية الحديثة، فإنما نقبله من باب تقريب المعجزات إلى الأذهان، وإمكانية وقوعها، وأنه لا يوجد ما يحيلها عقلاً، وليس المراد التماثل والتشابه بين المكتشفات الحديثة والمعجزات من كل وجه.

فالوحي الذي سبق تقريره يختلف عن تلك المخترعات المذكورة من وجوه عديدة، من أهمها:

أن هذه المخترعات والمكتشفات لم يصل إليها مخترعوها إلا بمشقة وجهد وأعباء مالية كبيرة، بل لا يمكن الاستفادة منها إلا بكلفة شديدة، وتضافر جهود كثيرة. أما الوحي فهو هبة من الله - تعالى - لنبيه ﷺ من غير طلب منه، قال الله - تعالى -: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ (القصص: 86).

ولا أصدق من قول عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي: «حتى فجِئه الحق، وهو في غار حراء»[45]، قال ابن حجر:

(42) مناهل العرفان (1/ 62)، وانظر: النبأ العظيم ص (75).

(43) وحي الله حقائق وخصائص في الكتاب والسنة ص (101- 102).

(44) النبأ العظيم ص (75)، وانظر مناهل العرفان (1/ 59- 62)، فقد أفاض في تقرير أمر التنويم المغناطيسي.

(45) هذه إحدى روايات حديث عائشة في بدء الوحي، أخرجها البخاري في صحيحه في كتاب التفسير (6/ 88) حديث رقم=

«حتى فجِئه الحق – بكسر الجيم – أي: بغته»[46].

وكان النبي ﷺ يتشوف، ويتحرى نزول الوحي في بعض الأوقات، فيتأخر عنه، وكثيراً ما التمسه في أشد أوقات الحاجة إليه، وكان لا يظفر به إلا حين يشاء الله، فهي إذن حال غير اختيارية[47]، وقد قال الله – تعالى –: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (مريم: 64).

وأيضاً، فالوحي يختلف عن هذه المخترعات، فلا تقارن قدرة البشر ومخترعاتهم بقدرة جبريل شديد القوى الذي يأتي بالوحي من السماء في لحظة.

أما الاستدلال بالتنويم المغناطيسي على إمكانية الوحي فغير لائق؛ لأن التنويم المغناطيسي لا يزال محل جدل، ولم يصل بعد إلى أن يكون حقيقة علمية، ومن ضوابط الاستدلال بالمكتشفات التجريبية: أن تكون حقائق علمية يقينية قطعية، لا مجرد نظريات وفرضيات قابلة للتغير والتبدل، لما يؤدي إليه الاعتماد على النظريات المتغيرة المتبدلة من إيقاع الشكوك في الحقائق والقطعيات الدينية.

وأيضاً فقد اعترى التنويم المغناطيسي بعض الخزعبلات التي لا تتناسب بحال مع نقاء الوحي وطهارته وقداسته؛ فدخل التنويم المغناطيسي ضروب من الشعوذة والسحر ونحو ذلك، واستُخدِم لأغراض دنيئة، فالاستدلال به على قضية الوحي وجواز وقوعه حط من قدر الوحي وقدسيته[48].

المطلب الثاني: رد المعجزات وإنكارها:

إنكار المعجزات وردها قديم، منذ أن أيد الله – تعالى – بها أنبياءه ورسله، والمنكرون للمعجزات أصناف: فمنهم الكفار الخلص المذكورون في مثل قول الله – تعالى –: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ (القمر:2)، وقوله – تعالى –: ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف: 132)، وقوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأنعام: 7).

ومنهم طوائف من المسلمين كالفلاسفة الذين يزعمون أن المعجزات قوى نفسانية تتصرف في هيولى العالم، وهؤلاء لا يعترفون بأنها خوارق من الله، وهم بهذا يرون أنها مكتسبة[49]. وقد تأثر العقلانيون المعاصرون بلوثة إنكار المعجزات، فأنكروا معجزات الأنبياء الحسية،

=(4953).

(46) فتح الباري (1/ 23).

(47) النبأ العظيم ص (71).

(48) ينظر كتاب مناهل العرفان، للزرقاني، دراسة وتقويم، د. خالد السبت (1/ 290).

(49) انظر قولهم والرد عليه في: الرسالة الصفدية، لابن تيمية ص (121).

ولم يقروا إلا بمعجزة القرآن الكريم بحجة أنها تخالف العقل والعلم والفطرة البشرية!! وهي – بزعمهم – مما ينفر العلماء من قبول الدين في هذا العصر!! والمعجزات عند بعضهم – وإن جازت قبل الإسلام – فإنما ذلك لأقوام لم تزل عقولهم في سن الطفولة، ولم تبلغ سن الرشد، فهي غير مؤهلة لفهم البراهين[50].

وقد وجد بعض المعاصرين المنكرين للمعجزات ضالتهم في العلم المادي والفكر الغربي، فاتكأوا على العلم التجريبي ومكتشفاته الحديثة في رد المعجزات وإنكارها، يقول محمد فريد وجدي (ت1954م): «لا ننكر أنه قد مضى على النوع الإنساني زمن كان فيه العقل في دور الطفولية، وكان يكفيه في الإيمان أن يندهش لأمر خارق للطبيعة؛ يعطل من سير نواميسها وقتاً ما، وكان الله ﷻ يرأف بعباده، فيرسل إليهم رسلًا يمتعهم بخصائص تعجز عن اكتناه سرها عقولهم، وتندهش لها ألبابهم، فيستدلون بهذه المعجزات على صدق الرسول وضرورة اتباعه، وأما الآن حيث بلغ العقل أشده، والنوع الإنسانيّ رشده، فلا تجدي فيه معجزة، ولا تنفع فيه غريبة؛ لأن الشكوك قد كثرت مع كثرة الموادّ العلمية..... ومما يدل على أن هذه القرون الأخيرة لا تروج فيها مسائل المعجزات، تكذيب علماء أوربا بكل المعجزات السابقة، وهو وإن كان تهورًا منهم، إلا أنهم مصيبون في قولهم: إننا في زمان لا يجدي فيه الاعتقاد إلا النور العقلي والدليل العلمي.... لهذه الأسباب جاءت الشريعة الإسلامية تدعو إلى السبيل الحق ببدائه العقل، وقواعد العلم، صارفة النظر عن المعجزات، وإظهار المدهشات؛ لعلم الله ﷻ بأنه سيأتي زمان تؤثر فيه المقررات العلمية على القوة العقلية، ما لا تؤثر عليها الخوارق للنواميس الطبيعية»[51].

والمنكرون للمعجزات لا يبالون في إنكار المعجزات الواردة في الأحاديث؛ إما بتضعيف أسانيدها، أو الزعم بعدم تواترها، وأن العقائد لا تثبت بأحاديث الآحاد.

أما المعجزات المذكورة في القرآن فيصعب ردها صراحة للقطع بصحة القرآن وتواتره، فلم يكن ثَم إلا التأويل لها، وهو ما سنتحدث عنه في المطلب الآتي:

المطلب الثالث: تأويل المعجزات بالعلم التجريبي:

من ضوابط تفسير الآيات تفسيراً علمياً: عدم التعرض لمعجزات الأنبياء وتفسيرها تفسيراً مادياً على ضوء الاكتشافات الحديثة، واعتبارها مثل غيرها خاضعة للتجربة والتحليل[52].

(50) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، د. فهد الرومي ص (545-556).

(51) المدنية والإسلام ص (90-91)، وانظر: كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم، للميداني ص (267، 289).

(52) الضوابط الشرعية للاكتشافات الجديدة ص (143).

غير أن الواقع خلاف ذلك، فقد جنح بعض المشتغلين بالتفسير العلمي إلى تأويل معجزات الأنبياء، وتفسيرها تفسيراً مادياً، وثمة أسباب دعتهم إلى ذلك، منها:

تأثرهم بالمنهج التجريبي القائم على البحث عن الأسباب المادية لجميع الظواهر دون استثناء، ومنها المعجزات، ومنها رغبتهم في مخاطبة من لا يدين بالإسلام، ولا يؤمن بالمعجزات من الماديين ونحوهم؛ الذين يستهويهم العلم التجريبي الحديث، ففتشوا عما يؤيده من القرآن الكريم.

ولم يكن تأويل معجزات الأنبياء – بصرف النظر عن دوافعه وأسبابه – وليد اللحظة، بل هو قديم، فقد نقل القرطبي المفسر (ت671) عند قول الله – تعالى –: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ (النمل: 82)، عن بعض المتأخرين من المفسرين قوله: إن الأقرب أن تكون هذه الدابة إنساناً متكلماً يناظر أهل البدع والكفر، ويجادلهم لينقطعوا، فيهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، فرد عليه أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي [صاحب المفهم ت 656] بقوله: وإنما كان عند هذا القائل الأقرب لقوله – تعالى –: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾، وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة آية خاصة خارقة للعادة، ولا تكون من ملة العشر الآيات المذكورة في الحديث[53]؛ لأن وجود المناظرين والمحتجين على أهل البدع كثير، فلا آية خاصة بها، فلا ينبغي أن تذكر مع العشر، وترتفع خصوصية وجودها إذا وقع القول[54].

وحين ننعم النظر في متأولي المعجزات وخوارق العادات المذكورة في القرآن الكريم نجدهم على نوعين:

الأول: من اتخذ تأويل المعجزات المذكورة في القرآن منهجاً عاماً، وذلك لعدم إقراره بها أصلاً، وكونها دليلاً على النبوة، فيلجأ إلى تأويل ما لا يستطيع دفع صحته من المعجزات المذكورة في القرآن الكريم، ويدخل

(53) وهي الواردة في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي ﷺ علينا – ونحن نتذاكر – فقال: (ما تذاكرون؟) قالوا: نذكر الساعة، قال: (إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات – فذكر – الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن؛ تطرد الناس إلى محشرهم)، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة (4/ 2225) برقم (2901).

(54) الجامع لأحكام القرآن (6/ 4952)، ومن تأويل هذه الآية بالمكتشفات الحديثة ما ذكره بعض المعاصرين أن المراد بالدابة المذياع، وأن كلامها هذه الأصوات التي تتردد عبر الأثير وأجهزة الاستقبال إلى آذان المستمعين، انظر المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل، د. عبد الفتاح إبراهيم سلامه، مجلة الجامعة الإسلامية عدد (47–48) ص (201)، وقد ذكر جملة من تأويل المعجزات للمتقدمين والمتأخرين.

في هذا النوع من ذكرناهم في المطلب السابق المنكرون لمعجزات الأنبياء عليهم السلام.

الثاني: من يقر بمعجزات الأنبياء الحسية، ويعدها دليلاً صحيحاً على النبوة، لكن يقع في تأول المعجزات في بعض المواطن، وقد وقع في هذا بعض العلماء؛ لكونه لم يظهر له أن الآية على حقيقتها، فيتأولها، وليس لأنه ينكر المعجزات الحسية من أصلها، مثل ما وقع لمجاهد بن جبر رحمه الله (ت104)، فإنه تأول مسخ أصحاب السبت قردة وخنازير بمسخ القلوب لا الأبدان، وقال في قول الله – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ (البقرة: 65) قال: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً[55].

وقد رد عليه ابن جرير رحمه الله (ت310) فقال: «وهذا القول الذي قاله مجاهد قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، كما أخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (النساء: 153) وأن الله – تعالى ذكره – أصعقهم عند مسألتهم ذلك ربهم، وأنهم عبدوا العجل، فجعل توبتهم قتل أنفسهم، وأنهم أمروا بدخول الأرض المقدسة، فقالوا لنبيهم: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ (المائدة: 24) فابتلاهم بالتيه، فسواء قال قائل: هم لم يمسخهم قردة، وقد أخبر – جل ذكره – أنه جعل منهم قردة وخنازير..... هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه، وكفى دليلاً على فساد قول إجماعها على تخطئته»[56].

والمعروف عن مجاهد رحمه الله أنه على منهج السلف في الإقرار بالمعجزات.

الأمثلة على تأويل معجزات الأنبياء عليهم السلام:

المثال الأول:

قال الله – تعالى –: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: 96).

ذكر بعض المغالين في التفسير العلمي أن الله – تعالى – رد بصر يعقوب عليه السلام لأمرين:

الأول: وجود مادة في العرق الذي يحمله قميص يوسف عليه السلام وقد لامست هذه المادة عيني يعقوب عليه السلام حين أُلقي القميص على وجهه فارتد بصيراً، وقد أجري على هذه المادة بعض الدراسات والتجارب.

(55) جامع البيان (2/ 65).

(56) جامع البيان (2/ 65-66)، ورد عليه ابن كثير في تفسيره (1/ 153) بأن الأئمة على خلاف ما ذهب إليه مجاهد/ من أن مسخهم إنما كان معنويًا لا صوريًا، والصحيح أنه معنوي صوري، والله أعلم.

الثاني: انخفاض ضغط الدم المفاجئ عند يعقوب عليه السلام بسبب الفرح الشديد، وهذه الحالة التي تحدث للإنسان قد تكون سبباً في الشفاء من العمى[57].

وهذا التكلف في التأويل يذهب ببهاء القصة وحلاوتها، ويصبح ما أكرم الله به يعقوب ويوسف عليهما السلام من المعجزات أمراً عادياً يمكن أن يحدث لأي أحد، ولا يبعد تأثر هذا التأويل بالنزعة العقلية في إنكار المعجزات وتفسيرها تفسيراً مادياً.

وهذا التأويل المتكلف يخرج القصة عن هدفها، فقد ذكر الله القصة للعظة والاعتبار، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ (يوسف: 111)، ومن الاعتبار بها: وجود عدد من المعجزات والكرامات ليوسف وأبيه عليهما السلام ومنها أن يعقوب وجد ريح يوسف من مسافة بعيدة جداً حين قفلت العير راجعة من مصر، وهذا الأمر لا يحدث في الأمور المعتادة، ولأجله أنكر من عند يعقوب هذا الأمر، قال - تعالى -: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (يوسف: 94-95)، ولو كان الأمر كما زعم من تأثير مادة العرق لوقع لغير يعقوب، ولم يذكر في التاريخ ولا مرة واحدة أن أحداً أبصر بإلقاء قميص غيره عليه، أو بوقوع العرق على عين الأعمى، أو وجد ريح غيره من مسافة بعيدة[58].

المثال الثاني:

قال الله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ (الفيل: 1-5).

حادثة الفيل وقعت في العام الذي ولد فيه النبي ﷺ وهي من دلائل نبوته، وليست لأجل جيران البيت، وإنما لأجل البيت، ولأجل النبي الذي ولد في عامه[59].

وقد تأول بعض العقلانيين المعاصرين الطير الأبابيل بالميكروبات، يقول محمد عبده (ت1323): «وفي اليوم الثاني فشا في جند الحبشي داء الجدري والحصبة، قال عكرمة: وهو أول جدري ظهر في بلاد العرب، وقال يعقوب بن عتبة فيما حدث: إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام، هذا ما اتفقت عليه الروايات، ويصح الاعتقاد به.. فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض، أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، وأن تكون هذه

(57) انظر: القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل ص (121-122).

(58) نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم، د. أحمد الفاضل ص (39).

(59) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (4/ 122).

الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الريح، فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه، فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم، وتساقط لحمه، وإن كثيراً من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وإن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنه، وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها..... هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل، إن صحت روايته»[60].

والسورة صريحة في إرسال الطير الأبابيل، وهي مكية، والمخاطب بها كثير من المشركين، واستفاض لديهم رؤية هذه الطير تحمل الحجارة، ونقلها الرواة عنهم، فعن ابن عباس: هي طير، وكانت طيراً لها خراطيم كخراطيم الطير، وأكف كأكف الكلاب وعن عبيد بن عمير المكي رحمه الله (ت 74) قال: هي طير سود بحرية، في مناقرها وأظفارها الحجارة. وعن سعيد بن جبير رحمه الله (ت95): طير خضر، لها مناقير صفر، تختلف عليهم[61].

ولو لم ير أهل مكة هذه الطير حقيقة لسارعوا إلى تكذيب القرآن، ولو كانت ميكروبات أو جراثيم، فكيف يرونها، وهي لا ترى؟!، وهذه الجراثيم لا علم للعرب بها وقت نزول القرآن، بل هي من مكتشفات العلم الحديث[62].

وأما وجود الحصبة والجدري عام الفيل فقد يكون من آثار العذاب الذي نزل بأبرهة وجنده، فظهرت تلك الأوبة بعد هلاكهم، لا أن تكون هي سبب هلاكهم، وقد صرح عكرمة رحمه الله (ت104) مولى ابن عباس رضي الله عنه بذلك، فقال: كانت ترميهم بحجارة معها، قال: فإذا أصاب أحدهم خرج به الجدري، قال: كان أول يوم رؤي فيه الجدري[63].

المثال الثالث:

قال الله – تعالى –: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل: 38–40).

يقول بعض الباحثين: «التفسير المنطقي لما قام به الذي عنده علم من الكتاب – سواء أكان إنسياً أو جنياً – حسب علمنا الحالي، أنه قام أولاً بتحويل عرش ملكة سبأ إلى نوع من الطاقة ليس من الضروري أن يكون في

(60) تفسير جزء عم (157–158).

(61) جامع البيان (24/ 631–632).

(62) انظر: التفسير والمفسرون، للذهبي (2/ 568).

(63) جامع البيان (24/ 633).

صورة طاقة حرارية؛ مثل الطاقة التي نحصل عليها من المفاعلات الذرية الحالية ذات الكفاءة المنخفضة، ولكن طاقة تشبه الطاقة الكهربائية، أو الضوئية يمكن إرسالها بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية.

والخطوة الثانية: هي أنه قام بإرسال هذه الطاقة من سبأ إلى ملك سليمان، ولأن سرعة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية هي نفس سرعة انتشار الضوء، أي: 300000 كم - ثانية، فزمن وصولها عند سليمان ثلاثة آلاف كيلو متراً.

والخطوة الثالثة والأخيرة: أنه حول هذه الطاقة عند وصولها إلى مادة مرة أخرى في نفس الصورة التي كانت عليها، أي: أن كل جزئ وكل ذرة رجعت إلى مكانها الأول!.

إن إنسان القرن العشرين ليعجز عن القيام بما قام به هذا الذي عنده علم من الكتاب منذ أكثر من ألفي عام، فمقدرة الإنسان الحالي لا تتعدى محاولة تفسير فهم ما حدث، فما نجح فيه إنسان القرن العشرين هو تحويل جزء من مادة العناصر الثقيلة؛ مثل اليورانيوم إلى طاقة بواسطة الانشطار في ذرات هذه العناصر»[64].

وصاحب هذا التفسير أخف من المثالين السابقين؛ لتأكيده على عجز إنسان القرن العشرين عن القيام بما قام به الذي عنده علم من الكتاب، لكن يؤخذ عليه تفسير نقل عرش بلقيس تفسيراً مادياً، ولست أدري ما الداعي إلى ذلك؟!، وما المانع أن ينقل الله - تعالى - عرش بلقيس بحاله دون تحويل العرش إلى عناصر أخرى، ثم ما الدليل على هذا التحويل الذي ذكره؟!، أليس الذي أسرى بعبده روحاً وجسداً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء السابعة في ليلة قادر على نقل عرش بلقيس بحاله دون تغيير من مملكة سبأ إلى مملكة سليمان في لحظة؟!، إن هذا الفعل أمكن في القدرة وأقوى في الإعجاز، وعليه فهذا التفسير أقرب إلى التكلف منه إلى التفسير المنطقي[65].

***

الخاتمة

ظهر لي من خلال البحث ما يأتي:

أولاً: لم يقتصر أثر العلم التجريبي عند بعض المعاصرين على فهم القرآن فحسب، وإنما ظهر أثره في فهم السنة، وفي جوانب علمية شتى: في العقائد وفي

(64) آيات قرآنية في مشكاة العلم د. يحيى المحجرى (157-158)، وينظر: أسئلة في الإعجاز - كيف تم إحضار عرش بلقيس؟، مقال في الإنترنت، بقلم عبد الدائم الكحيل:
http://kaheel7.com/pdetails.php?id=996&ft=36

(65) للاستزادة من أمثلة تأويل المعجزات بالمكتشفات الحديثة ينظر: ما ذكره محمد حسين هيكل في كتابه: حياة محمد ص (208) حول معجزة الإسراء والمعراج، وما ادعاه علي فكري في كتابه: القرآن ينبوع العلوم والعرفان (3/ 310) أن الطيران ظهر في عهد سليمان عليه السلام مستشهداً بقول الله - تعالى -: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ﴾ (سبأ: 12).

الفقه وغير ذلك، وفيما يتعلق بالمعجزات ظهر أثر العلم التجريبي فيها في اتجاهين:

الأول: الاستدلال على المعجزات وتقريبها، وهذا الاتجاه يمكن قبوله إذا التزم بضوابط التفسير العلمي، وسلم من المبالغة.

الثاني: إنكار المعجزات، وتأويلها بما يخرجها عن حقيقتها، وهذا الاتجاه غير سليم، وهو في غاية الخطورة.

ثانياً: أهمية العناية بالمستجدات العصرية والإفادة منها، وضرورة ضبطها بما لا يخالف نصوص الشريعة، فهذه الطريقة وسط بين من يتوجس من كل اكتشاف علمي، ويرد كل اختراع جديد، ومن يسارع في تلقف ما عند الأمم الأخرى، ويتمادى في تطويع النصوص والمسلمات الشرعية، لتتلاءم معه، فهناك أمور يجب الوقوف عندها، ويحرم تجاوزها، وبخاصة فيما يتعلق بالعقائد والغيبيات، ومن رام غير ذلك وقع في الخلل.

ثالثاً: ينبغي لمن أراد تقريب المعجزات بالمكتشفات الحديثة العناية ببيان الفرق بينها وبين المعجزات حذراً من التمادي في تفسير المعجزات بما يجعلها أمراً معتاداً، ويخرجها عن كونها معجزة خارقة للعادة كما فعله بعض الناس.

رابعاً: إنكار المعجزات وتأويلها منهج لبعض الناس اتبعه في أكثرها، بينما يقر آخرون بالمعجزات أصلاً من أصول العقيدة، ويقع في كلام بعضهم تأويل لبعضها لا يخرجهم عن أصل الإيمان بحقيقة المعجزات والتسليم بها.

خامساً: يجب على من أراد تفسير النصوص والمقارنة بينها وبين المكتشفات العصرية الاستعانة بالمتخصصين بالعلم الشرعي، وبخاصة أهل التفسير حذراً من الوقوع في الخلل والخطأ.

***

قائمة المصادر والمراجع

الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن. ط4، مصر: مطبعة الحلبي، 1398هـ.

الاستقراء والمنهج العلمي. زيدان، محمود فهمي. د.ط، الإسكندرية: دار الجامعات المصرية، 1977م.

الإسلام والعلم التجريبي. السويدي، يوسف. ط2، الكويت: مكتبة الفلاح، 1420هـ.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار. أشرف على تحقيقه: بكر أبو زيد. د.ط، جدة: مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، مكة: دار عالم الفوائد، د.ت.

آيات قرآنية في مشكاة العلم. المحجري، يحيى سعيد. د.ط، مصر: المختار الإسلامي، 1991م.

التعريفات. الجرجاني، علي بن محمد. تحقيق: عبد الرحمن عميرة. ط1، بيروت: عالم الكتب، 1407هـ.

تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. تحقيق: عبد العزيز غنيم وآخرين. د.ط، القاهرة: دار الشعب، د.ت.

تفسير القرآن. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام. تحقيق: عبد المعطي

قلعجي. ط1، بيروت: دار المعرفة، 1411هـ.

تفسير جزء تبارك. المغربي، عبدالقادر. د.ط، مصر: دار الشعب، عن طبعة الأميرية، 1366هـ.

تفسير جزء عم. خير الله، محمد عبده بن حسن. ط3، مصر: مطبعة مصر، 1341هـ.

التفسير والمفسرون. الذهبي، محمد حسين. د.ط، مصر: دار الكتب الحديثة، د.ت.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. تحقيق: عبد الله التركي وآخرين. ط1، القاهرة: دار هجر، 1422هـ.

الجامع لأحكام القرآن. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. د.ط، القاهرة: دار الشعب، د.ت.

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم. د.ط، مصر: مطبعة المدني، 1379هـ - 1381هـ.

حياة محمد. هيكل، محمد حسين. ط14، مصر: دار المعارف، د.ت.

الرسالة الصفدية. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم. تحقيق: محمد حسن إسماعيل. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1420هـ.

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الألباني، محمد ناصر الدين. ط4، بيروت: المكتب الإسلامي، 1405هـ.

السنن الكبرى. النسائي، أحمد بن شعيب. تحقيق: عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي حسن. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ.

شرح العقيدة الطحاوية. ابن أبي العز، علي بن محمد الحنفي. تحقيق: عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1408هـ.

صحيح البخاري. البخاري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إسماعيل. د.ط، تركيا: المكتبة الإسلامية، 1979م.

صحيح مسلم. القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. د.ط، تركيا: المكتبة الإسلامية، د.ت.

صراع مع الملاحدة حتى العظم. الميداني، عبد الرحمن بن حنبكة. ط5، دمشق: دار القلم، 1412هـ.

الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم. شهوان، راشد سعيد. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، الأردن، م (3)، ع (1)، 1428هـ، ص117-151.

فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. د.ط، القاهرة: المطبعة السلفية، د.ت.

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. تحقيق: عبدالرحمن اليحيى. ط1، الرياض: دار المنهاج، 1428هـ.

الفصل في الملل والنحل. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي. د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، مصورة عن طبعة مؤسسة محمد علي صبيح بمصر، 1348هـ.

القرآن والعلم الحديث. نوفل، عبد الرزاق نوفل. ط1، مصر: دار المعارف، 1378هـ.

القرآن ينبوع العلوم والعرفان. فكري، السيد علي. ط1، مصر: المطبعة السلفية، 1370هـ.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية. السفاريني، محمد بن أحمد. ط2، دمشق: مؤسسة الخافقين، 1402هـ.

مباحث في علوم القرآن. القطان، مناع خليل. ط1، الرياض:

مكتبة المعارف 1413هـ.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر. ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1402هـ.

مجموع الفتاوى. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. جمع: عبد الرحمن بن قاسم، وابنه محمد. د.ط، المدينة: مجمع الملك فهد لطابعة المصحف الشريف، 1416هـ.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي. تحقيق: الرحالة الفاروق، وآخرين. ط2، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1428هـ.

المدنية والإسلام. وجدي، محمد فريد. د.ط ، مصر: دار الرقي، 1319هـ.

المستدرك على الصحيحين. الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. د.ط، بيروت: دار الكتاب العربي، مصورة عن الطبعة الهندية، 1335هـ.

المسند. ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. ط2، تونس: دار سحنون، مصورة عن الطبعة الميمنية بمصر، 1313هـ.

المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل. سلامة، عبد الفتاح إبراهيم. مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة، السنة (12)، ع (47-48)، رجب – ذو الحجة 1400هـ، ص160-212.

معجم اللغة العربية المعاصرة. عمر، أحمد مختار. ط1، القاهرة: دار عالم الكتب، 1429هـ.

مفردات ألفاظ القرآن. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط2، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، 1418هـ.

مناهل العرفان في علوم القرآن. الزرقاني، محمد عبد لعظيم. د.ط، مصر: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

مناهل العرفان للزرقاني، دراسة وتقويم. السبت، خالد بن عثمان. ط2، الرياض: دار ابن القيم، 1429هـ.

منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير. الرومي، فهد بن عبدالرحمن. ط2، د.م: د.ن، 1403هـ.

موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين. صبري، مصطفى صبري. ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1401هـ.

النبأ العظيم. دراز، محمد عبدالله. ط 2، الكويت: دار القلم، 1390هـ.

النبوات. ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم. تحقيق: عبدالعزيز الطويان. ط1، الرياض: أضواء السلف، 1420هـ.

نقد التفسير العلمي والعددي المعاصر للقرآن الكريم. الفاضل، أحمد محمد. د.ط، دمشق: مركز الناقد الثقافي، د.ت.

وحي الله حقائق وخصائص في الكتاب والسنة ونقض مزاعم المستشرقين. عتر، حسن ضياء الدين. ط 1، دمشق: دار المكتبي، 1419هـ.

المقالات في الانترنت:

أسئلة في الإعجاز: كيف تم إحضار عرش بلقيس؟. الكحيل، عبد الدائم:

http://kaheel7.com/pdetails.php?id=996&ft=36

العلماء المسلمون ووضع المنهج التجريبي العلمي. الجوهري، محمود.

http://www.alukah.net/library/11498/7748

هل صحيح أن علماء وكالة ناسا اكتشفوا أن القمر قد انشق نصفين. الكحيل، عبد الدائم:

http://www.kaheel7.com/ar/index.php/2012-12-04-18-31-08/1125-2013-03-28-01-41-33

* * *